اوحد الزمان ابو البركات الطبيب الفيلسوف

م.د سعد عبد الحليم ذوالنون
جامعة الانبار – كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

م.د محمد صكر هاشم
جامعة الانبار/ كلية التربية اساسية حديثة
قسم التاريخ

ملخص البحث

ارتقت العلوم الطبية عند العرب والمسلمين وخصوصا في العصر العباسي ، بسبب ما تميزت به تلك الفترة من الانفتاح العلمي والحضاري ، ولم يكن العلم حكرا على المسلمين فقط بل شارك فيه اهل الملل الاخرى من يهود او نصارى سواء كانوا من العرب او من غير العرب.

واصبحت بغداد قبله العلماء والادباء والاطباء وطلبة العلم وغيرهم من اصحاب المهن والحرف ، ويعود الفضل في ذلك الى رعاية الخلفاء ومن سار على طريقهم من الامراء والوزراء للعلم واهله والساعين الى التبحر والبحث فيه ، وقد برزت شخصية الطبيب العراقي ابو البركات هبه الله بن ملكا اليهودي كطبيب بارع خدم الخليفة المستنجد بالله العباسي ، وذاع صيته بين العامة ليس كطبيب فقط بل كفيلسوف عظيم ، حتى عرف بأوحد زمانه وما يميز ابو البركات انه قد عمل على العلاج بالطب النفسي ونجح في شفاء العديد من المرضى معتمدا على حيل بسيطة لكنها قد اعطت نتائج كبيرة .

ذلك ما دعاني الى اظهار تلك القامة العلمية الكبيرة ليس في مجال الطب فحسب بل بعلوم اخرى قد رفدت الحضارة العربية والاسلامية

Abstract

Medical sciences rose among Arabs and Muslims, especially in the Abbasid era, because of the scientific and cultural openness that Baghdad became before him scholars, writers, doctors, and other professionals and craftsmen, thanks to the care of caliphs, princes and ministers for knowledge, his people and his professionals, and the personality of the Iraqi doctor Abu Al-Barakat Heba Allah bin Malak emerged as a brilliant doctor who served the caliph who sought help from God the Abbasid, and his fame spread among the public not As a doctor only, but a philosopher, until he knew one of his time, and what distinguishes Abu Al-Barakat is that he worked on psychiatry and treated many patients with it, relying on simple tricks that gave great results in healing This is what prompted me to show that great scientific stature not only in the field of medicine, but also in other sciences that have helped the Arab and Islamic civilization

المقدمة :-

الحمد لله الذي انعم علينا بنعمة الاسلام , وهدانا الى دين الحق والسلام , واخرجنا بفضلة من الظلمات الى النور , وحرم على نفسة الظلم والجور , والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين , والداعي الى الله بأذنه , اشرف الخلق والمرسلين , سيدنا محمد ﷺ سيد الانبياء والمرسلين وعلى اله وأزواجه وأصحابه أجمعين .

تعد الدراسات في العلوم عند العرب من الدراسات المهمة والشيقة ، لما تحمله من استذكار واظهار لتاريخ امة الاسلام وحضارتهم الانسانية المشرقة ، وتعطي صورة الى ما بلغه العرب والمسلمين من ازدهار وتطور حضاري امتزجت فيها الروح الانسانية ، اذ لم تبلغ امة من الامم ما بلغته امة الاسلام من التسامح والتعاون والاخاء ، في مجتمع انصهرت فيه كل الديانات والملل على اختلاف عقائدهم , والشعوب والاقوام ، ولم يحرم دين او مذهب او طائفة من العلم او التعلم او العمل وفي كل المجالات .

تتركز الدراسة حول شخصية يهودية[1] برزت وبشكل واضح في حضارة الاسلام العريقة ، وعمل صاحبها في اعلى المراتب ونال ما لم ينله احد من ابناء طائفته في البلدان الغير اسلامية ، الا وهو اوحد الزمان ابو البركات اليهودي ، والذي اسلم في اواخر حياته لينال شرف الدنيا والاخرة بأذن الله ، فقد ولد اوحد الزمان ابو البركات ونشاء في العراق وتعلم فيه وخدم اهله وهو على ملته اليهودية ، وخدم بني العباس وامرائهم وسائر الناس .

اهمية البحث تعود الى اظهار ما وصلت اليه الحضارة العربية الاسلامية من رقي وتطور وما بلغت اليه بغداد عاصمة الدنيا من انفتاح حضاري ، ولدراسة شخصية وقامة طبية وفيلسوف كبير كأوحد الزمان ابو البركات البغدادي ، والذي يعد ابرز اطباء القرن السادس الهجري واعظم فلاسفة زمانه ، وقد قسم البحث الى محاور تناولنا فيه اسمة ومولدة وتعلمة للطب وكيف اصبح له اسلوبه الخاص بالمداوة والعلاج الطبي والنفسي ، واشهر تلاميذه ومؤلفاته العلمية .

ورغم ان شخصية ابو البركات الفيلسوف مشهورة , غير ان الكثير من المصادر اغفلت ذكره والقلة القليلة التي تناولت حياته الشخصية والعلمية ، ولا نعلم لماذا تم التغافل عن شخصية ابو البركات رغم انه لقب بأوحد زمانه في الطب والفلسفة .

قدمت ما استطعت ان اجده في بطون الكتب والمراجع في اظهار حياة اوحد الزمان ابي البركات الطبيب الفيلسوف ومن الله التوفيق ...

---

(١) موضوع الدراسة

الباحث .

اسمة ومولدة :-

اوحد الزمان أبي البركات هبه الله ابن علي بن ملكا[١] اليهودي البلدي[٢] ، طبيب فاضل عالم باختصاصه وبعلوم الاوائل وولد ببلد [٣] ، نشاء بغداد وسكن فيها في محلة اليهود[٤] ، عاش في اواسط المائة السادسة ولا يعرف تاريخ مولده بدقه [٥] .

وصف أبو البركات بالفيلسوف اوحد الزمان فيلسوف العراقيين ، وممن ادعى انه نال مرتبة ارسطو في الحكمة[٦] ، وله ولع واهتمام بالغ بالعلوم العقلية ونظره فائقة فيها وبرز في صناعة الطب ، وله مواقف طبية مشهورة يتناقلها الناس الى يومنا هذا ، قد اعجزت كبار الاطباء في عصره [٧] .

ورغم ذلك وصفت شخصية اوحد الزمان أبو البركات بالتكبر والغرور[٨] ، وربما يعود ذلك الى كون اصله من الطائفة اليهودية المعروفين بالكبر والانفة ، ولكن الاحداث التي سنقرئها في هذا البحث تثبت عكس ما كان يراه بعض المؤرخين .

كان لأوحد الزمان ثلاث بنات ولم يخلف ولدا [٩] ، وكان حريصا على رعايتهن وقد تأخر اسلامه بسبب بناته وذلك ما سنجده لاحقا[١٠] .

---

(١) ابن القفطي: أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ٢٥٦

(٢) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٢/ ٢٩٦

(٣) بلد : مدينة قديمة فوق الموصل وتعرف بلط وهي ما تعرف بقريه عين يونس بن متي ، ويقال ان الحوت التقمه في نينوى وبلطه هناك ؛ الهروي ، الاشارات الى معرفة الزيارات ، ٦٢ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٨١/١

(٤) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٢/ ٢٩٩

(٥) الصفدي ، نكث الهيمان ، ٢٨٩

(٦) البيهقي، تتمه صوان الحكمة ، ٣٠

(٧) ابن القفطي ، اخبار العلماء ، ٢٥٦

(٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٧٥/٦

(٩) العمري ، مسالك الابصار ، ٤٥٦/٩

(١٠) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ٢١٠

اهتمامه بالطب وتعلمه :-

عرف عن اوحد الزمان أبو البركات ولعه واهتمامه بالعلوم وخصوصا الطب ، وقد حاول التعلم على يد ابا الحسن سعيد بن هبه الله[١] ، والذي كان يقرأ في المسجد الجامع ولا يهوى ان يدرس يهودي على يديه ، ورغم ذلك لم يقطع اوحد الزمان الامل في التعلم على يد شيخ الاطباء في بغداد ، بل استطاع بحيله ان يحتال على بواب المسجد وان يدخل في احدى الدهاليز التي توصل قريبا من درس الحسن بن سعيد شيخ الاطباء[٢] ، واستمر عام كامل على التعلم من الدهليز وشأت الاقدار ان يضع أبو البركات على طريق العلم والشهرة ، اذ تباحث المعلم أبو الحسن سعيد بن هبه الله مع تلاميذه في مسألة فلم يجيبه احد منهم [٣] ، فدخل أبو البركات وخدم الشيخ وقال : يا سيدي بأذنك اتكلم فقال : قل فأجاب بشيء من كلام جاليونوس وقال : يا سيدي هذا جرى في اليوم الفلاني في الميعاد الفلاني فاستعلم منه واوضحه له فقال له : اذا كنت كذا فما نمنعك من الدرس وقربه واصبح من اجل تلاميذه [٤] ، وبذلك اصبح أبو البركات هبه الله من افضل وانجح تلاميذ شيخ الاطباء ، بل ونال بصبره وفطنته ما لم ينله احد في زمانه .

اسلوبه العلاجي :-

تميز اوحد الزمان أبو البركات بأسلوبه العلاجي الخاص ، وتفنن في علاج حالات مرضيه بغير ما كان يعالج به اطباء عصره ، مستخدما اساليب يكاد ينفرد بها ، فقد روي انه كان في خدمة السلطان وعسكره وجائهم رجل به داحس[٥] ، غير انه لم يصيبه الورم وكان يسيل منه صديد ، فقام اليه اوحد الزمان أبو البركات وبادر الى سلاميته اصبعه فقطعها ، فقال له تلامذته وبعض الاطباء : لقد اجحفت في المداواة وكان يغنيك ان تداوي بما يداوي به غيرك وتبقي عليه

(١) ابو الحسن الحسن بن سعيد بن هبه الله بن الحسين البغدادي ، شيخ الاطباء بالعراق كان بارعا في العلوم الطبية والفلسفية مشهورا بها خدم الخليفة المقتدي بالله العباسي بصناعة الطب ، وله عدة مصنفات في الطب والمنطق والفلسفة اشهرها المغني في الطب وكتاب الاقناع : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٦٧/١٥ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٤٠١/٣

(٢) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٢/ ٢٩٦-٢٩٧

(٣) العمري ، مسالك الابصار ، ٤٥٢/٩ -٤٥٣

(٤) الصفدي ، نكث الهيمان ، ٢٨٩

(٥) الداحس : وهو تشعث الاصبع بقرح وبثور صغيره فينقلع منها الاظفر ؛ الزمخشري ، اسس البلاغة ، ٢٨٠/١ ؛ الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، ٥٤٤/١

اصبعه ، ولم ينطق اوحد الزمان بحرف واحد [١] ، اذا كان علاج الداحس عند باقي الاطباء ان يوضع عليه لطخات ومراهم مصنوعة من الزيوت وبعض بذور النباتات [٢] ، وجاءهم رجل اخر وبه مثل الذي شبقه فأشار الى تلامذته بمداواته وقال : افعلوا في هذا ما ترونه صواباً [٣] ، فداواه الاطباء بما يعالج به الداحس غير انه لم ينفعه شيء بل واتسع المكان وذهب اظفره وتعدى الامر الى السلامية الاولى ، وعجز الاطباء عن علاجه باستخدامهم انواع الادوية واللطوخات ، والداحس في توسع وبدأ بأكل الاصبع حتى بادر الاطباء الى قطع سلامتين [٤] ، وقد شاع ذلك المرض في تلك الفترة وقد غفل بعض الاطباء عن العلاج بالقطع فتعدى الى قطع اليد وبعضهم الى هلاك الانفس[٥] ، ويدل ذلك على علم كبير وتفنن وحرفيه ومهارة في صناعة الطب .

وذكر ايضا ان اوحد الزمان أبو البركات كان في مجلسه للتعليم ، وعليه ثوب اطلسي مثمن احمر اللون من خلع وهدايا السلطان ، اذ دخل عليه رجل من اهل بغداد وشكا اليه سعالا ادركه وطال مدته ولم ينجح الاطباء في علاجه ، فقال : له اذ اسعلت وقطعت شيئاً فلا تتفله حتى اقول لك ما تصنع ، وقعد ساعة بعدما سعل الرجل وادخل أبو البركات يده في كم ذلك الثوب الاطلسي وقال له : اتفل فيه ، فتوقف الرجل خشيه افساد الثوب فنهره فبصق وضم اوحد الزمان يده عليها ، وشرع في درسه ساعة ثم فتح يده وقلب ما فيها من البصاق ، وقال لاحد الحاضرين اقطع من هذه الشجرة النارنجه واحضرها وقال للمريض : كلها فقال : ايها الحكيم متى اكلت منه مت ! قال له : ان اردت العافية فقد وصفتها لك فأكلها الرجل وقال له : امض وانظر ما يكون من ليلتك ؟ وما ان كان اليوم الثاني حضر الشاكي وهو متألم فقال : ما نمت لكثرة ما نالني من السعال ؟ فقال له أبو البركات : احضر لي نارنجه وكلها فقال: الشاكي اذ اكلتها ما يبقى بيني وبين الموت شك فقال له: كلها فهي الدواء وامض ، وفي اليوم الثالث اتاه وسأله عن حالته فقال: بت خير مبيت ولم اسعل فقال له : برئت ولله الحمد واياك واكل النارنج بعدها [٦] .

---

(١) العمري ، مسالك الابصار ، ٤٥٤/٩

(٢) ابو بكر الرازي ، الحاوي في الطب ، ٣٤/٥

(٣) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٢٩٨/٢

(٤) المصدر نفسه ، ٢٩٨/٢

(٥) العمري ، مسالك الابصار ، ٤٥٥/٩

(٦) القفطي ، اخبار العلماء ، ٢٥٧– ٢٥٨

كما برع أبو البركات في علاج نفسة فأصابه الجذام فعالج نفسه بتسليط الافاعي بعد تجويعها فنهشت منه المواقع التي اصابها الجذام في جسده [١] ، كما اصيب في اواخر عمرة بالعمى وبقى مدة من الزمن حتى استطاع من علاج نفسه ورد اليه بصره [٢].

العلاج بالطب النفسي :-

ان من ابداعات الطبيب اوحد الزمان أبو البركات انه قد ابتكر طرقاً جديدة ومبتكره للعلاج النفسي ، على الرغم من كونه ليس الاول الا انه كان الافضل بين اقرانه في عصرة وبقت تلك الطرق تتناقلها الاجيال جيل بعد جيل ، اذ انه استطاع علاج رجل مصاب بالمنخوليا بعد ان كان يعتقد ان على راسة دنا [٣] ، وانه لا يفارقه فكان يتحاشى الاسقف المتدنية ويطأطئ لها برأسه ، ولا يدخل مكانا مزدحما ابدا وعجز الاطباء في زمانه عن علاجه ولم تتحسن حالته [٤] ، فكر اوحد الزمان أبو البركات في حيله لعلاجه ، واتفق مع غلمانه على خطة يزيل بها الوهم الذي يعاني منه الرجل ، واعطى لكل منه دورا في العلاج فوضع احدهم على سطح دارة ومعه دناً ، وامر الاخر بحمل خشبة لضرب الدن الوهمي من فوق راس المرض[٥] ، وما ان اتاه المريض للعلاج حتى اشار عليه اوحد الزمان بكسر الدن والخلاص منه ، فرفض الرجل خوفا عليه ، غير ان اوحد الزمان امر غلامة بالضرب فوق راس المريض بالخشبة ، واوقع الاخر الدن من على السطح فتكسر الدن واصبح قطعا صغيرة وسمع له صوتا وجلبه [٦]، فلما عاين المريض القطع المتناثرة تأوه حزنا على الدن وايقن انه كان على رأسه ولم يشك في الامر والحليلة وبرء من مرضة باستخدام العلاج بالوهم[٧] وهو باب عظيم في تطور مداواة المرضى وتقدمه تقدما ملحوظا في علاج الطب النفسي والذي عجز عنه باقي الاطباء في عصره.

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٧٤/٦

(٢) البيهقي ، تتمة صوان الحكمة ، ٣٠

(٣) الدن : ما عظم من الرواقيد كهيئة الجب الا انه طويل المستوى وفي اسفله كهيئة قونس البيضة ، وهو ما يحفظ به الخمر : الفراهيدي ، العين ، ٩/٨ ؛ الازهري ، تهذيب اللغة ، ١٤٦/١

(٤) العمري ، مسالك الابصار ، ٤٥٣/٩

(٥) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٢٩٧/٢

(٦) الصفدي ، نكث الهيمان ، ٢٨٩

(٧) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٢٩٧/٢

أبو البركات الفيلسوف :-

بالرغم من ان اوحد الزمان أبو البركات قد اشتهر وذاع له الصيت بالطب ، الا انه كان في الحكمة والفلسفة منها ابصر واعلم ، وبلغت شهرته فيها الشي الكبير ، وكان له شروح عديدة فاق فيها ارسطو وابن سينا [١] .

ويعد مؤلفة المعتبر في الحكمة من احسن وافضل ما كتب في المنطق والفلسفة [٢] ، وانه قد سبق علماء الغرب في المادية والمثالية ، اذ يقول : "" اذا ادرك الانسان شيئاً من الاشياء بحاسة من حواسة كالبصر والسمع والشم والذوق واللمس ، عرفه وعرف ادراكه له قال عن ذلك الشيء انه موجود ، وادعى بكونه موجود غير كونه مدركا بل كونه بحيث يدرك قبل ادراكه له وبعده ... وهو بتلك الحلاة قبل ادراكه ومعه ، وبعد تلك الحلاة التي يسميها المسلمون وجوداً ويقال للشيء لا جلها انه موجود ""[٣] ، وبذلك يعارض اراء الغير وجوديين اذ يقول : "" ثم ترى ان من الاشياء ما يدركها مدرك يعجز عن ادراكها مدرك او لا يكون كونها بحيث لا ينالها المدرك الذي عجز عن ادراكها ، فلم يدركها قادحا بوجودها بل هي موجودة وان ادركها او لم يدركها "" [٤] .

كما عرض اراء عدة عن الحركة والدوران والزمن وغيرها من الآراء الفلسفية التي سبق بها علماء عصرة [٥] .

خدمته في دار الخلافة :-

لم يكن قصر الخليفة حكراً على العلماء المسلمين فقط ، بل نجد من يعمل فيه من كل ملل الارض وديانتها واعراقها ، وان دل ذلك على شيء انما يدل على رقي تلك الحقبة التاريخية ، وانفتاحها الحضاري والانساني على جميع الامم والاقوام .

وقد كان لأوحد الزمان أبو البركات نصيب في تلك القصور فلم تمنعه ديانته اليهودية من العلم داخل قصر الخليفة ، وقد ذكر الذهبي ان اوحد الزمان كان في خدمة الخليفة المستضيء بأمر الله (٥٦٦- ٥٧٥هـ / ١١٧٠-١١٨٠ م) ، فيقول : " وقد خدم أبو البركات اوحد الزمان المستضيء بأمر الله "[٦] ، ويناقض الذهبي نفسه في سير اعلام النبلاء فيقول " انه خدم المستنجد

(١) ابن تيميه ، درء تعارض العقل والنقل ، ٣٢٤/٣

(٢) القنوجي ، ابجد العلوم ، ٥٢٩

(٣) اوحد الزمان ابو البركات ، المعتبر في الحكمة ، ٢٠/٣

(٤) المصدر نفسه ، ٢١/٣

(٥) المصدر نفسه ، ٣٧/٣-٤١

(٦) تاريخ الاسلام ، ١٨٠/١٢

بالله " [١] ، ويقال ان اوحد الزمان توفي عن عمر ثمانين عاما وهو السن الاقرب وكانت وفاته سنة ٥٦٠هـ أي في زمن الخليفة المستنجد بالله(٥٥٥-٥٦٦هـ / ١١٣٦-١١٦٠ م) ، وهو الاقرب والاصح .

في حين يذكر الصفدي ان أبو البركات كان في مصاف الخليفة المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ / ١١١٨-١١٣٥ م) [٢] ، وبذلك يكون عمره اثنان وثلاثون عاما لأنه توفي على الاقرب في ٥٦٠ هـ ، وعاش ثمانون عاما اذ ان تكون ولادته في ٤٨٠ هـ، ولو كان قد برز في ذلك العمر وهو شاب لكان قد خدم كل من الخليفة المقتدي والخليفة والراشد ، غير انه لم يذكر انه قد خدم احد من هؤلاء الخلفاء ، والاصح ما ذكرناه سابقا في خدمة الخليفة المستنجد بالله العباسي .

وقد كان اوحد الزمان كثير الحضور في قصر الخلافة ومن ندماء الخليفة [٣] ، ولما ذاع صيته وعلى شأنه وبلغت شهرته الافاق ، حتى استدعاه احد السلاطين السلاجقة من بغداد وتوجه نحوه ولاطفه حتى استطاع علاجه ، فاجزل له العطاء من الاموال والمراكب والملابس والتحف ، وعاد الى العراق على احسن غايه من التجمل [٤] ، والتحق بخدمة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه ، غير انه لم يوفق في علاجه لسوء حالته ، فحبسه مدة وذلك سنه ٥٤٧ هـ ثم اطلق سراحه [٥] ، واستمر اوحد الزمان في خدمة والامراء وكان كثيراً ما يستدعى بالاسم لشهرته وعلمة الواسع [٦] .

اسلامه :-

برز اوحد الزمان أبو البركات في مهنة الطب ، حتى اصبح واحد من اشهر الاطباء في بغداد ، رغم كونه يهودي ومن اهل الذمة ، ولم يتعرض له او يحاربه احد في صنعته بل كان معززا مكرما ، وهذا يدل على سماحة المسلمين وتعاملهم الانساني والحضاري مع اهل الملل الاخرى ، غير ان رغبته في دخول الاسلام رغم كبر سنه [٧] ، كانت دافعا قويا لدخوله في الاسلام راغبا غير مكره .

---

(١) سير اعلام النبلاء ، ١٦٨/١٥

(٢) نكث الهيمان ، ٢٨٩

(٣) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٢٩٩/٢

(٤) القفطي ، اخبار العلماء ، ٢٥٧

(٥) البيهقي ، تتمه صوان الحكمة ، ٣٠

(٦) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١٦٦/١

(٧) الصفدي ، نكث الهيمان ، ٢٨٩

قد اختلفت الروايات في سبب اسلامه فيرى ابن القفطي ان سبب اسلامه كان هروبا من القتل ، بعدما اخفق في علاج الخاتون ابنه سنجر وزوجة السلطان محمود ، الذي كان محبا لها فجزع عليها جزعا شديدا ، ولما عاين أبو البركات ذلك الجزع خاف على نفسه من القتل فاسلم طلبا للنجاة [١] ، ونرى ان ذلك غير وارد لكون ان الكثير من الاطباء والوزراء قد نكبوا وقتلوا لأخطاء قد يراها البعض كبيرة ولكنها لا تستوجب القتل والتاريخ يذكر تلك الحوادث وبكثره ولم يشفع لهم الاسلام فيها ، لذا تلك الرواية غير مقبولة لان شخص مثل أبي البركات وحكمته لا ينقصه شيء سوى الاسلام الذي اقتنع به ودخل فيها طائعا.

في حين يورد القفطي رواية اخرى عن سبب اسلامه ، حينما هجاه ابن افلح الشاعر[٢]

بقوله : لنا طبيب يهودي حماقته اذا تكلم تبدو فيه من فيه

يتيه والكلب اعلى منه منزله كانه بعد لم يخرج من التيه [٣]

فلما سمع ذلك علم انه لا يحل له بالنعمة التي انعمت عليه الا بالإسلام ، فقوي عزيمته على ذلك غير ان له بناتا كباراً وانهن لا يردن الدخول في الاسلام ، وانه متى ما اسلم لا يرثنه فتضرع الى الخليفة في الانعام اليهن بما يخلفه وان كن على دينهن ، فوقع له بذلك ولما تأكد من ذلك اعلن اسلامه للناس[٤] ، نرى ان الأبيات لابن افلح الذي توفي سنة ٥٣٥ هـ كانت تنتقص من اوحد الزمان والذي كان عمره حينما توفي ابن افلح خمس وخمسون عاما ، أي في قمه عطائه وهو حينما اسلم كان في اواخر العمر وعاش نحو ثمانين عاما ، وهي تناقض قضيه ميراث بناته ورما تكون هي الاقرب للصحة اذا كان يرى انه مقبل على الموت وانه متى ما اسلم لن ترث بناته شيء فامن لهم ما يكفيهم الحياة بعد رحيله .

في حين يرى ابن أبي اصيبعة ان سبب اسلامه كان من جراء موقف تعرض له من قاضي القضاة بحضرة الخليفة ، حينما دخل اوحد الزمان على الخليفة فنهض الجميع ماسوى قاضي القضاة ، فقال : يا امير المؤمنين ان كان القاضي لم يوافق الجماعة لكونه يرى اني على غير ملته فانا اسلم بين يدي مولانا ولا اتركه ينقصني بهذا واسلم [٥] ، من غير المعقول شخص مثل اوحد

(١) اخبار العلماء ، ٢٥٩

(٢) ابن افلح علي بن افلح العبسي ابو القاسم جمال الملك ، شاعر مدح الخلفاء وارباب المراتب خلع عليه المسترشد بالله لقب جمال الملك واغناه توفي سنة ٥٣٥ هـ : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣٨٩/٣

(٣) اخبار العلماء ، ٢٥٧

(٤) المصدر نفسه ، ٢٥٧

(٥) عيون الانباء ،٢٩٩/٢

الزمان يتعرض لمثل هذا الامر فيترك دينه بكل سهوله ، ويعتنق الاسلام ان لم تكن له به رغبه ، هذا من جانب ومن جانب اخر فالطبيب اوحد الزمان كان كثير التواجد في قصر الخلافة ومنذ سنين طويله ، فكيف لم يمر بمثل هذا الامر منذ سنوات ، فكان عليه ان يسلم منذ زمن بعيد ، ولكن الرواية الثانية هي الاقرب للصحة .

تلاميذ اوحد الزمان أبو البركات :-

كان لحذق اوحد الزمان في الطب والعلوم الفلسفية والحكمة شأن كبير ، مما جعل الكثير من الطلاب يحاولون الالتحاق بدروسه والتعلم على يديه ، والاخذ عنه من فروع الحكمة والطب ، وقد ذكر له العديد من التلاميذ برز بعضهم واصبح لهم شأن عظيم ، في حين لم يعرف مصير الباقين ولم تذكرهم كتب السير والتراجم بشيء .

فكان من تلاميذه البارزين الذين يملي عليهم اوحد الزمان كتابه المعتبر في الحكمة هم الجمال بن فضلان ، ولي بن الدهان المنجم , والمهذب النقاش ، والمهذب بن هبل وغيرهم [١] وسنترجم لبعض من تلاميذ اوحد الزمان .

اولا : ابن الدهان المنجم :-

ويعرف بأبي شجاع ويلقب بالثعيلب البغدادي الاصل ، اقام بالموصل ومن ثم ارتحل بعدها الى دمشق واشتهر هناك بصناعة الطب ، وعرف عنه الدين والورع وكثره الصيام ، وعمل في المارستان الكبير بدمشق وله عدة تصانيف مهمة [٢] .

ثانيا : المهذب النقاش :-

اشتهر بصناعة الطب في بغداد غير انه ارتحل عنها الى دمشق ومن ثم الى الديار المصرية ، حيث اشتهر هناك وذاع صيته حتى دخل في خدمة خلفائها ، واصبح احد اشهر الاطباء هناك [٣]، كما برع في التدريس واخرج على يديه العديد من الاطباء الماهرين هناك [٤]

(١) الصفدي ، نكث الهيمان ، ٢٩٠

(٢) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٦٥٩/٢

(٣) المصدر نفسه ، ٥٧٢/٢

(٤) المقريزي ، المقفى الكبير ، ٦٠/٢

ثالثا: المهذب بن هبل :-

أبو الحسن علي بن احمد بن علي بن عبد المنعم بن هبل البغدادي المولد والناشئة ، والمعروف بالخلاطي وهو ليس خلاطيا في الاصل الا انه رحل الى هناك واقام بها دهرا طويلا وكان من ابرز تلاميذ اوحد الزمان ، وقد فاق اهل زمانه في المهارة والاحتراف واتقانه فنون الطب ، وقد الف كتابا سماه المختار [١]

منافسته لابن التلميذ الطبيب :-

الطب صنعة تميز بها البارعون والمبتكرون ، وهي كحال اي مهنة وصنعة يتنافس بها اصحابها وكان اوحد الزمان أبو البركات ومنافسه في الصناعة ابن التلميذ المشهور[٢] ، معاداة وتنافس كما يقع بين كثير من اهل الفضيلة [٣] ، وكان اوحد الزمن لما اسلم ، كان يتنصل كثيرا من اليهود ويلعنهم ويسبهم ، فلما كان ببعض الايام في مجلس بعض الاعيان والاكابر وعنده جماعة وفيهم ابن التلميذ النصراني ، وجرى ذكر اليهود فقال اوحد الزمان : لعن الله اليهود ، فأجابه ابن التلميذ على الفور نعم ! وابناء اليهود ، فوجم لها اوحد الزمان وعرف انه المشار اليه وعناه بالكلام [٤] .

كان اوحد الزمان افضل من ابن التلميذ في العلوم والحكمة والمنطق وله كتب جليله ولو اخذنا كتابه المعتبر في الحكمة لفاق باقي مؤلفات عصره ، اما ابن التلميذ فكان ابصر بصناعة الطب[٥]

ويذكر ان من شدة المنافسة بين اوحد الزمان أبو البركات وابن التلميذ ، انه وصل الامر الى محاوله اوحد الزمان القضاء على ابن التلميذ ، حينما امر احد غلمانه بوضع رقع يذكر فيها اشياء سيئة عن ابن التلميذ بعيده كل البعد عن خلقة وربما يصدر به امر القتل من الخليفة ، فوضعت تلك الرقع في طريق الخليفة فقراها ، ورأى ما فيها من شر عظيم غير واراد ان يوقع بابن

---

(١) الموصلي ، قلائد الجمان ، ٢٩٧/٣

(٢) ابو الحسن هبه الله بن صاعد المسيحي الطبيب قسيس النصارى وابقراط وقته ، صاحب التصانيف خدم العديد من الخلفاء وعاش نحو اربع وتسعون عاما وتوفي سنة ٥٦٠ هـ : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٣١/١٥ ، الحضرمي قلادة النحر ، ٢١٣/٤

(٣) ابو الفداء ، المختصر ، ٤٣/٣

(٤) العمري ، مسالك الابصار ، ٤٥٦/٩

(٥) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣٤٩/٢

التلميذ ، غير انه لم يفعل بل تحقق من الامر حتى وصل الى غلمانه الذين اشتركوا مع اوحد الزمان ، فوهب دم ومال اوحد الزمان الى ابن التلميذ ، والذي عفى عنه [١] .

ان صحت الرواية لماذا لم يتخذ الخليفة اجراء يردع فيه حقد اوحد الزمان ، وعلى الاقل ان يطرده من العمل او يسجنه ، فكيف يامن على نفسة من غدر اوحد الزمان ، ولماذا وهب دمه وماله لخصمة ولم يتخذ أي عمل ضد اوحد الزمان ، هذا الامر يترك تساؤلات كثيرة وغير مفهومه ، و ان من وضع تلك الرواية اراد بيها عنصر التشويق من اجل تأجيج صراع بين اكبر قطبي للطب في ذلك العصر .

حكم اوحد الزمان أبو البركات :-

قال : " الخير الحقيقي اربعة : العفة والشجاعة والحكمة والعدل [٢] ، وقال ايضاً : سعادة الدنيا لطف الحواس وجودة المشورة في الآراء والبراءة من الخطأ والزلل والاسجاح في الطلب ، وكرم الاصل [٣]

ما قيل فيه من العلماء واهل السير والتراجم :-

- طبيب فاضل عالم بعلوم الاوائل [٤]
- الفيلسوف اوحد الزمان فيلسوف العراقيين [٥]
- وقال فيه العمري " طبيب لو رام الصخر الجلمود لتفجر ، او امسك الماء السائل فتحجر ، بمداوته نظر لو صابرت الزمان لتضجر ، او افرغت حصاة الدهر لتشجر [٦]
- وقيل فيه : الطبيب الفاضل [٧]
- وصفه أبو الفداء فقال : " الحكيم المشهور صاحب كتاب المعتبر في الحكمة[١]

(١) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ٢٧٧٢/٦ ؛ ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣٤٩/٢

(٢) الصفدي ، نكث الهيمان ، ٢٨٩

(٣) البيهقي، تتمه صوان الحكمة ، ٣١

(٤) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٢٩٦/٢

(٥) البيهقي ، تتمه صوان الحكمة ، ٣١

(٦) مسالك الابصار ، ٤٥٢/٩

(٧) الصفدي ، نكث الهيمان ، ٢٨٩

- قال فيه ابن العبري: " طبيبا فاضلا عالما بعلوم الاوائل، وكان حسن العبارة لطيف الاشارة"[٢]
- كما وصفه الذهبي بشيخ الاطباء [٣]

مؤلفاته العلمية :-

وضع اوحد الزمان أبو البركات العديد من المصنفات العلمية في مختلف المجالات ومن مؤلفاته :

١- المعتبر في الحكمة ويعد من اشهر كتب المنطق والفلسفة
٢- حواشي على قانون ابن سينا
٣-اقرباذين
٤- اختصار التشريح – جمعة من كتب جاليونوس
٥-مقاله في الدواء وعرف بـ برشعشا أي سم ساعة
٦-كناش في الطب
٧-مقاله في امين الارواح في المعاجين
٨-رسالة في العقل وماهيته
٩- مقاله في سبب ظهور الكواكب ليلا واختفائها نهاراً
١٠- كتاب النفس والتفسير [٤]

وفاته : -

ذكر ان سبب وفاته اوحد الزمان يعود الى رحيلة الى همذان بعدما اصاب السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بالقولنج ، بعد ان تعرض لعضة اسد ، فحمل الشيخ الى هناك وهو في سن الثمانين ، فلما يئس من حياة السلطان خاف أبو البركات على نفسة فمات صحوة [٥] ، ومات السلطان مسعود بالحمى الشديدة وكان ذلك في سنة ٥٤٧ هـ[٦] وحمل

---

(١) المختصر ، ٢٦٥/٢

(٢) تاريخ مختصر الدول ، ٢١٠

(٣) سير اعلام النبلاء ، ١٦٨/١٥

(٤) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٢/ ٢٩٩-٣٠٠ ؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١٧٣١/٢ ؛ البغدادي ، هدية العارفين ، ٥٠٦/٢

(٥) الصفدي ، نكث الهيمان ، ٢٨٩

(٦)ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٨٦/٩ ؛ اليافعي ، مرأة الجنان ، ٢١٩/٣ ؛ ابو الفداء ، البداية والنهاية ،٢٨٦/١٢

تأبوت أبو البركات بعدها الى بغداد مع الحجاج ليدفن هناك [١]، وقد ذكر اكثر من مؤرخ ان وفاة اوحد الزمان كانت في ٥٤٧هـ[٢]

غير ان الصواب انه لم تكن وفاة اوحد الزمان أبو البركات في سنة ٥٤٧ هـ والصحيح انه التحق بخدمة السلطان مسعود ، غير انه لم يوفق في علاجه لسوء حالته، فحبسه مدة وذلك سنه ٥٤٧ هـ ثم اطلق سراحه [٣] ولم يذكر انه توفي هناك.

ولو صح ذلك التاريخ لكان اوحد الزمان في خدمة الخليفة المقتفي بأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ ١١٣٦-١١٦٠ م) في حين ذكر ان اوحد الزمان كان في خدمة الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥- ٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م) [٤] ، وهو الاصح والاقرب ، كما نجد ان في اخر حياة اوحد الزمان اصيب بالعمي والطرش والبرص والجذام ، ولما احس بالموت اوصى من يتولاه ان يكتب على قبرة " هذا قبر اوحد الزمان أبي البركات ذي العبر صاحب المعتبر "[٥] ، وكانت وفاته سنة ٥٦٠هـ [٦] ، وعاش نحو ثمانين عاماً [٧] ، اذن هو اوصى من يتولى دفنه كتابة تلك العبارة وكذلك هو قد احس بدنوا اجله فلا يعقل ان يموت طبيب من الخوف اذا مات السلطان لأنه لا مانع من قدر الله ، في حين ذكر القنوجي انه توفي في اوسط المائة السادسة ولم يحدد له تاريخ وفاة [٨] . والاصح والاقرب للصواب هو ما ذكره الذهبي في كتابة سير اعلام النبلاء والله اعلم .

(١) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١٧٣١/٢

(٢) البيهقي ، تاريخ بيهق ، ٧١/١

(٣) البيهقي ، تتمه صوان الحكمة ، ٣٠

(٤) الذهبي ، سير اعلام ، ١٦٨/١٥

(٥) ابن العبري ، تاريخ مختصر ، ٢١٠ ؛ ابجد العلوم ، ٥٢٩

(٦) الذهبي ، تاريخ الاسلام ،١٩٠/١٢

(٧) المصدر نفسة ، ٣٤٢/٣٨

(٨) ابجد العلوم ، ٥٢٩

الخاتمة :-

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات ، وبنور وجهة انار عقولنا وقلوبنا لعمل الخير ، ووفقنا الله لتقديم كل ما ينفع الناس ، والعمل ما استطعنا من اجل ابراز تاريخ وحضارة الاسلام .

ان شخصية اوحد الزمان ابو البركات من الشخصيات الهامة التي تستحق الدراسة والفحص والتمحيص ، لوجود الكثير من التناقضات في حياة ذلك الشخص الكبير بعلمة وعملة ، فوجدنا تناقض في عملة وخدمته للخلفاء والامراء وخصوصا في التواريخ ، وكذلك تحامل بعض المؤرخين في الطعن في شخصية اوحد الزمان ابو البركات ، وحاونا جاهدين اظهار الحق وابعاد الشبهات حيث نجد التناقض ظاهرا فمن يمدحه في موضع يذمه في اخر ولا يستند على ادله تاريخيه ، كما وجدنا تناقض في تاريخ وفاته وقد بينا اوجه الاختلاف وبيان تاريخ الوفاة الاصح والاقرب .

الفائدة من البحث تكمن في رفد المكتبة العربية المعاصرة بمثل هذه الدراسات والبحوث الهامة والتي لو استغلت بشكل صحيح لنسفت الدراسات الغربية والتي ادعى اصحابها انهم اصحاب فكر متطور وخصوصا في الفلسفة والمنطق ، فلو درس كتاب المعتبر في الحكمة لأوحد الزمان ابي البركات بشكل صحيح ، واظهار ما فيه من رؤيا للمنطق والفلسفة سنجده قد سبق جميع المثاليين والموضوعيين من فلاسفة الغرب من فيكو وهيكل وديكارت وغيرهم ، وبأسلوب فلسفي راقي بعيد عن الهرطقة والافكار الغير سوية .

قائمة المصادر والمراجع :

- ابن الاثير , ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد , (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣م)

١-الكامل في التاريخ , ط ١ , تحقيق : عمر عبد السلام التدمري , دار الكتاب العربي, بيروت – ١٩٩٧

- الازهري , ابو منصور محمد بن احمد بن الازهري , (ت ٣٧٠ هـ /٩٨٠م)

٢-تهذيب اللغة , تحقيق : محمد عوض مرعب , ط ١ , دار احياء التراث العربي , بيروت – ٢٠٠١

- ابن ابي اصيبعة ، ابو العباس موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي , (ت ٦٦٨ هـ /١٢٦٩ م)

٣-عيون الانباء في طبقات الاطباء , تحقيق : نزار رضا , مكتبة الحياة , بيروت – د.ت

- البيهقي ، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد ,(ت ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م)

٤- تاريخ بيهق , ترجمة : يحيى الخشاب و صادق نشأت , مكتبة الانجلو مصرية , القاهرة – د.ت

٥-تتمة صوان الحكمة ، تحقيق : رفيق العجم ، بيروت – ١٩٩٣

- ابن تيمية ، تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن ابي القاسم بن محمد ، (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م)

٦-درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ١٩٩٧

- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م)

٧- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون , مكتبة المثنى , بغداد – ١٩٤١ .

- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت: ٦٨١هـ)

٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, تح إحسان عباس , دار صادر – بيروت , الطبعة: ١، ١٩٩٤م

- الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)

٩-سير أعلام النبلاء , دار الحديث- القاهرة ط ١ ,٢٠٠٦م

٩-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ,تح عمر عبد السلام التدمري ,دار الكتاب العربي، بيروت ط ٢, ١٩٩٣ م

- الرازي : أبو بكر، محمد بن زكريا (ت: ٣١٣هـ)

١٠- الحاوي في الطب , تح هيثم خليفة طعيمي ,دار احياء التراث العربي – لبنان/ بيروت ,ط ١, ٢٠٠٢م

- ابو بكر الرازي ، محمد بن زكريا ، (ت ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م)

١١- الحاوي في الطب ، تحقيق : هيثم خليفة طعيمي ، ط١ ، دار احياء التراث ، بيروت – ٢٠٠٢

- الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: ٥٣٨هـ)

١٢- أساس البلاغة , تح محمد باسل عيون السود , دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ,ط ١ ١٩٩٨ م

- الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)

١٣-نكث الهميان في نكت العميان, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ,الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

- ابن العبري : غريغوريوس ابن أهرون بن توما الملطي، أبو الفرج (ت: ٦٨٥هـ)

١٤-تاريخ مختصر الدول, تح أنطون صالحاني اليسوعي, دار الشرق، بيروت, ط ٣، ١٩٩٢ م

- ابن العماد الحنبلي : عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد (ت: ١٠٨٩هـ)

١٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب, تح محمود الأرناؤوط , دار ابن كثير، دمشق – بيروت ط ١, ١٩٨٦ م

- العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت: ٧٤٩هـ)

١٦- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار , المجمع الثقافي، أبو ظبي , ط ١، ١٤٢٣ هـ

- أبو الفداء :عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر (ت: ٧٣٢هـ)

١٧- المختصر في أخبار البشر ,المطبعة الحسينية المصرية , ط ١ , ١٩٩٦م

- الفيروزآبادى : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ)

١٨- القاموس المحيط , تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ,مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ,ط ٨, ٢٠٠٥ م

- ابن القفطي:جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ)

١٩- أخبار العلماء بأخيار الحكماء،تح إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان , ط ١ , ٢٠٠٥ م

- القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ)

٢٠- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان , تح إبراهيم الإبياري ,دار الكتاب المصري، ط ٢ , ١٩٨٢ م

- القِنَّوجي : أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت: ١٣٠٧هـ)

٢١- أبجد العلوم , دار ابن حزم ,ط ١ ,٢٠٠٢ م

- الهروي : علي بن أبي بكر بن علي (ت: ٦١١هـ)

٢٢-الإشارات إلى معرفة الزيارات , مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة , ط١، ١٤٢٣ هـ .

- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هـ)

٢٣-معجم البلدان , دار صادر، بيروت ,ط ٢، ١٩٩٥ م